

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على النبي العربي الهاشمي الأمين
خاتم الأنبياء والمرسلين

الخطاب الموجه لصاحب القداسة البابا بنديكتوس السادس عشر

في مسجد الملك الحسين، عمّان، الأردن

من صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال

٩ أيار/مايو، ٢٠٠٩ م، الموافق ١٤ جمادى الأولى، ١٤٣٠ هـ

السلام عليكم،

باكس فوبس،

بمناسبة هذه الزيارة التاريخية إلى مسجد الملك الحسين بن طلال هنا في
عمّان، أرحب بقداستكم، البابا بنديكتوس السادس عشر بأربع طرق.

أولاً، أرحب بكم كمسلم، لأننا ندرك بأن القصد من هذه الزيارة أن تكون بادرة
حسن نية واحترام متبادل من الزعيم الروحي الأعلى والحبر الأعظم لأكبر طائفة من
أتباع أكبر دين في العالم إلى ثاني أكبر دين في العالم. وفي الواقع، فإن المسيحيين
والمسلمين معاً يشكلون ما يزيد عن ٥٥% من سكان العالم، فتكمن أهمية هذه الزيارة
في أنّها المرة الثالثة فقط في التاريخ التي يقوم بها بابا جالس على السدة البابوية
بزيارة مسجد؛ فقد كانت الأولى الزيارة التي قام بها سلف قداستكم البابا المحبوب
يوحنا بولس الثاني إلى المسجد الأموي التاريخي في دمشق (الذي يضم الرأس
الشريف لسيدنا يحيى، عليه السلام)، عام ٢٠٠١، وكانت الثانية الزيارة التي قمتم قداستكم
بها عام ٢٠٠٦ للمسجد الأزرق الرائع الذي بناه السلطان أحمد في اسطنبول. إن هذا

المسجد الجميل الذي يحمل اسم الملك الحسين هنا في عمّان، هو مسجد الدولة الرسمي، وقد بُني بإشراف شخصي مباشر من صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني، ليكون عنوان محبة لذكرى المغفور له بإذن الله، والده الملك الحسين المعظم، رحمه الله وطيب ثراه. ولذلك، فهذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يزور فيها البابا مسجداً جديداً. ومن هنا، فإننا نرى في هذه الزيارة رسالة واضحة عن ضرورة الوئام والانسجام ما بين الأديان والاحترام المتبادل في العالم المعاصر، وبرهاناً ملموساً على استعداد قداستكم للقيام بدور قيادي في هذا. وتبدو هذه المبادرة أكثر روعة حين نأخذ بعين الاعتبار بأن زيارة قداستكم هذه إلى الأردن هي في المكان الأول حج روعي إلى الأراضي المسيحية المقدسة (وبصورة خاصة لموقع عماد السيد المسيح، عليه السلام، في بيت عانيا شرق الأردن) (سفر يوحنا ١: ٢٨ وسفر يوحنا ٣: ٢٦)، ومع ذلك خصصتم الوقت في برنامج زيارتكم المكثف المُضني - وهو مضمّن لأي فرد مهما كان عمره - لزيارة مسجد الملك الحسين تكريماً للمسلمين.

وعليّ أيضاً أن أعرب عن الشكر لقداستكم على "الندم" الذي عبّرتم عنه بعد المحاضرة التي ألقيتها في ريجنسبيرغ في ١٣ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٦ م، على الإيذاء الذي سببته هذه المحاضرة لمشاعر المسلمين. وبالطبع، فإن المسلمون يعرفون أن ليس هناك من قول أو فعل في هذا العالم يمكن أن يسبب أيّ أذى لرسول الله ﷺ الذي هو مع، كما تشير كلماته الأخيرة لنا، الرفيق الأعلى - الله سبحانه وتعالى - في الجنة. ولكن مشاعر المسلمين تأدّت بسبب حبّهم لرسول الله ﷺ الذي هو، كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**

(سورة الأحزاب، ٦: ٣٣). ومن هنا، فإن المسلمين قدّروا بصورة خاصة التوضيح الذي صدر عن الفاتيكان بأن ما قيل في المحاضرة التي ألقيت في ريجنسبيرغ لا يعكس رأي قداستكم الشخصي، وأتّه كان مجرد اقتباس في محاضرة أكاديمية.

إضافة إلى ذلك من الواضح تماماً بأن سيدنا محمد ﷺ الذي يحبه المسلمون ويقننون بسنته، ويعرفونه كحقيقة حيّة ووجود روعي، مختلف تماماً وكاملاً عن

الصورة التي تُرسم له تاريخياً في الغرب منذ أيام القديس يوحنا الدمشقي. فهذه التصويرات المشوهة من قِبَل أولئك الذين يجهلون اللغة العربية أو القرآن الكريم والحديث الشريف، أو لا يفقهون السياق التاريخي والثقافي لحياة الرسول ﷺ – ومن ثمّ يسيئون فهم النية والمقاصد الروحية وراء أحاديث رسول الله ﷺ وأفعاله الشريفة – هي المسؤولة، لسوء الحظ، عن الكثير من التوتر التاريخي والثقافي بين المسيحيين والمسلمين. ولذلك إنّه من واجب المسلمين أن يتصدّوا لتوضيح قدوة الرسول ﷺ قبل كلّ شيء من خلال أفعال فاضلة ومُحسنة وتقوية وخيرة مستذكّرين بأن رسول الله ﷺ كان لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (سورة القلم، ٤: ٦٨). فيقول الله تبارك

وتعالى في القرآن الكريم:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن
كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا
(سورة الأحزاب، ٢١: ٣٣)

وأخيراً، يتوجب عليّ أيضاً أن أشكر قداستكم على العديد من البوادر الودية والأعمال الكريمة الأخرى تجاه المسلمين منذ اعتلائكم سدّة البابوية عام ٢٠٠٥ – بما في ذلك استقبالكم بكل الإجلال صاحبيّ الجلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية في عام ٢٠٠٥، والملك عبد الله بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، خادم الحرمين الشريفين، في عام ٢٠٠٨. وبصورة خاصة أشكر قداستكم على استقبالكم الحار للرسالة التاريخية المفتوحة "كلمة سواء بيننا وبينكم"، والتي وجهها ١٣٨ من العلماء المسلمين المرموقين عالمياً (والذين تستمر أعدادهم في الازدياد حتى يومنا هذا) إلى قادة المسيحيين في العالم في ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧ م. وانطلاقاً من هذه المبادرة – والتي أقرت، بناءً على القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، أنّ من أعظم قيمتين في الدين الإسلامي والدين المسيحي حبّ الله وحبّ الجار – قام الفاتيكان وبتوجيهكم الشخصي، بعقد أول ندوة للمنتدى

الإسلامي - الكاثوليكي العالمي بين ٤-٦ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٨ م. وسنعمل قريباً، بمشيئة الله، مع نيافة الكاردينال توران القدير على متابعة العمل الذي انطلق في هذا الاجتماع، ولكن سأكتفي الآن بأن أقتبس وأردد كلماتك التي وردت في الخطاب الذي ألقينموه قداستكم بمناسبة انتهاء الندوة، فقد قلت:

"إن الموضوع الذي اخترتموه لاجتماعكم - وهو حبّ الله وحبّ الجار: كرامة الإنسان والاحترام المتبادل - مهم بصورة خاصة. وقد أخذ من الرسالة المفتوحة، التي تعتبر حبّ الله وحبّ الجار قلب كلّ من الإسلام والمسيحية. وهذا الموضوع يسلط الضوء بدرجة أكبر من الوضوح على الأسس اللاهوتية والروحية للتعاليم الأساسية لديننا ... وأنا واثق تماماً بأن لكلّ من المسلمين والمسيحيين نهجاً مختلفاً في الأمور المتعلقة بالله تعالى. ومع ذلك فيمكننا أن نعبد، وعلينا أن نعبد، الله الواحد الذي خلقنا والذي يعبأ بكل واحد منا في جميع أركان العالم ... إنّ هناك ميداناً عظيماً واسعاً يمكننا أن نعمل فيه معاً في الدفاع عن القيم الأخلاقية التي تشكّل جزءاً من تراثنا المشترك، وفي الترويج لهذه القيم ..."

والآن تُرد على قلبي آيات الله سبحانه وتعالى:

لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

(سورة آل عمران، ٣: ١١٣ - ١١٥)

وقوله تعالى:

... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ۗ^ع
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
(سورة المائدة، ٥: ٨٢)

ثانياً، كهاشمي، من ذرية رسول الله ﷺ، أرحب بقداستكم في هذا المسجد في الأردن مستذكراً أن رسول الله ﷺ رحّب بجيرانه مسيحيي نجران في المدينة ودعاهم للصلاة في مسجده، الأمر الذي فعلوه في وئام من دون أن يساوم أحد الطرفين على عقائده. وهذه أيضاً عبرة ثمينة يحتاج العالم إلى أن يتذكرها.

ثالثاً، كعربي – ومن أحفاد إسماعيل عليه السلام والذي تقول التوراة عنه إن الله سوف يجعل منه أمة عظيمة (سفر التكوين، ١٨: ٢١) وكان الله معه (سفر التكوين ٢٠: ٢١) – أرحب بقداستكم. فمن أبرز فضائل العرب – والذين تعايشوا مع مناخ يعتبر من أقسى ما في العالم وأشدّها حرارة – أنهم مضيافون. حسن الضيافة وليدة الكرم وتدرّك حاجات الجار وتعتبر البعيدين أو الذين أتوا من بعيد جيراناً أيضاً، وأكد الله سبحانه وتعالى هذه الفضيلة في القرآن الكريم:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
(سورة النساء، ٤: ٣٦)

إنّ حسن الضيافة العربية لا تعني حبّ المساعدة والعطاء فحسب بل وكرم النفس أيضاً بأن يتحلّى المرء بالكرم في روحه وبالتالي يتسم بروح التقدير. خلال زيارة قداسة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني إلى الأردن في عام ٢٠٠٠، كنت أعمل مع العشائر الأردنية وكان قد قال بعضهم إنهم يعزّون البابا الراحل وحين سُئلوا لم يعزّونه وهو مسيحي وهم مسلمون، أجابوا: "لأنه زارنا!". وكما هو الحال مع قداستكم كان من السهل على البابا الراحل يوحنا بولس الثاني أن يذهب إلى إسرائيل وفلسطين فقط ولكنه اختار أن يبدأ حجه بزيارة إلى الأردن، وهو أمر نقدره.

رابعاً و آخراً، أقدم لقداستكم الترحيب كأردني. في الأردن الجميع متساوون أمام القانون بصرف النظر عن الديانة أو العرق أو الأصل أو الجنس، والذين يعملون في الحكومة عليهم خدمة كل من في البلاد بشكل عادل ورؤوف. كان هذا الحذو الشخصي والرسالة الخاصة للملك الراحل الحسين مدى حكمه الذي دام سبعة وأربعين عاماً حيث أحبّ كل من في البلاد كحبه لأبنائه. كما أنها رسالة نجله، جلالة الملك عبد الله الثاني. فهدف حياة جلالة الملك عبد الله الثاني وهدف حكمه هو أن يجعل حياة كل أردني – حياة كل إنسان – حياة كريمة وطيبة وسعيدة قدر المستطاع مع شحّ موارد الأردن.

اليوم، خُصص للمسيحيين بموجب القانون، ٨% من مقاعد البرلمان كما خصصت لهم حصص مشابهة في كل مستويات الحكومة والمجتمع – مع أنّ أعدادهم أقلّ من ذلك في الواقع – هذا بالإضافة إلى قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بهم والمحاكم الكنسية. والدولة تقوم بحماية ورعاية الأماكن المقدسة لدى المسيحيين ومؤسساتهم التعليمية التي تعمل ضمن إطار القانون واحتياجاتهم الأخرى – وقداستكم قد رأيتم هذا شخصياً في جامعة مادبا الكاثوليكية الجديدة وهو ما سترونه إن شاء الله في الكاتدرائية الكاثوليكية الجديدة وكنيسة الروم الكاثوليك الجديدة في موقع المغطس – وهكذا فإن أحوال المسيحيين تزدهر اليوم في الأردن كما كان حالهم على مدى الألفي سنة الأخيرة ويعيشون في سلام ووثام، وعلاقاتهم مع جيرانهم المسلمين علاقات أخوية حقيقية تتسم بالنوايا الطيبة. وبالطبع يعود هذا جزئياً إلى أن المسيحيين كانوا يُشكّلون نسبة أكبر عدداً في الأردن ولكن تراجع معدلات الولادة لدى المسيحيين وارتفاع مستويات التعليم والرخاء الاقتصادي (الأمران اللذان يجعلانهم مطلوبين للعمل في الغرب) أدى إلى تراجع أعدادهم. وتزدهر أحوال المسيحيون في الأردن اليوم أيضاً لأن الأردن يذكر بالتقدير أن المسيحيين كانوا موجودين على أرض الأردن قبل المسلمين بستمئة عام. ولعل المسيحيين الأردنيين أقدم مجتمع مسيحي في العالم – ولطالما كانت الأغلبية من

الأرثوذكس الذين يتبعون البطريركية الأرثوذكسية في القدس في الأراضي المقدسة – وكما تعرف قداستكم أنّها كنيسة القديس يعقوب والتي تأسست أثناء حياة المسيح ﷺ. كثير منهم ينحدرون من الغساسنة والخميين وهما قبيلتان عربيتان قديمتان. وعلى مرّ التاريخ شارك المسيحيون مصير وصعاب زملائهم المسلمين. وفي عام ٦٣٠ م، أثناء حياة سيدنا محمد ﷺ انضم المسيحيون إلى جيش الرسول ﷺ، (بقيادة ابنه بالتبني زيد بن الحارثة ﷺ وابن عمه جعفر بن أبي طالب ﷺ) ضدّ الجيش البيزنطي المكوّن من أخوانهم من المسيحيين الأرثوذكس في معركة مؤتة (وهو بسبب هذه المعركة حظوا باسمهم القَبلي "العزيزات" ومعناها "التعزيزات") – وبطريرك اللاتين فواد الطوال ينحدر من هذه القبائل)؛ وفي ١٠٩٩ م دُبحوا وهم واقفون مع رفاقهم المسلمين على يدّ الصليبيين الكاثوليك حين سقطت القدس؛ ومن ١٩١٦ – ١٩١٨ م أثناء الثورة العربية الكبرى وقف المسيحيون مع رفاقهم العرب المسلمين وحاربوا المسلمين الأتراك؛ وبعد ذلك شارك المسيحيون رفاقهم المسلمين فترة الوهن التي دامت عدة عقود تحت الانتداب البروتستنتي الاستعماري؛ وفي الحروب العربية الإسرائيلية في ١٩٤٨، ١٩٦٧ و ١٩٦٨ حارب المسيحيون إلى جانب رفاقهم العرب المسلمين ضد خصومهم اليهود. لطالما دافع المسيحيون عن الأردن ولطالما ساعدوا في بنائه بروح وطنية وبلا كلل ولعبوا أدواراً قيادية في مجالات التعليم والصحة والتجارة والسياحة والزراعة والعلوم والثقافة والرياضة والكثير غيرها. وكل هذا لنقول إنه في الوقت الذي تراهم فيه قداستكم على أنهم أخوانك المسيحيين فإننا نعرفهم على أنهم أخواننا الأردنيين وهم جزء لا يتجزأ من هذا الوطن تماماً مثل الأرض نفسها.

نأمل أن تكون هذه الروح الأردنية الفريدة للوئام والانسجام بين الدينين المسلم والمسيحي وحبّ الخير والاحترام المتبادل مثلاً يحتذى للعالم أجمع وأن تأخذها قداستكم إلى أماكن مثل منداناو ومناطق جنوب الصحراء في أفريقيا حيث تعاني الأقليات المسلمة في ظل الأغلبية المسيحية، وإلى أماكن أخرى حيث العكس صحيح.

* * *

ومثلما نرحب بقداستكم بأربع طرق فإننا نستقبلكم بأربع صفات:
أولاً، نستقبل قداستكم بصفتم الزعيم الروحي والحبر الأعظم وخليفة القديس
بطرس لـ ١،١ مليار كاثوليكي هم جيران للمسلمين في كل مكان في العالم والذين
نحييهم من خلال استقبالنا لكم.

وثانياً، نستقبل قداستكم بصفتم البابا بنديكتوس السادس عشر بشكل خاص
الذي اتسم عهده بالشجاعة الأخلاقية لفعل وقول ما يمليه عليه ضميره بصرف النظر
عمّا هو شائع في العالم، هذا بالإضافة إلى أن قداستكم عالم لاهوتي مسيحي فدّ أصدر
منشورات بابوية تاريخية عن فضيلتين كبيرين جميلتين هما الرحمة والرجاء ، وقد
سهّلت قداستك مرة أخرى القُدّاس اللاتيني التقليدي لأولئك الذين اختاروه لصلاتهم.
وفي الوقت نفسه فقد جعلت قداستك الحوار الديني الداخلي والحوار بين الأديان من
أولويات حكمكم وذلك من أجل نشر التفاهم والنوايا الحسنة بين الناس في العالم
أجمع.

وثالثاً، فإننا نستقبل قداستكم كرئيس دولة هو في الوقت ذاته قائد عالمي رائد
في قضايا الأخلاق والقيم والبيئة والسلام والكرامة الإنسانية وتخفيف حدّة الفقر
والمعاناة وحتى الأزمة المالية العالمية.

ورابعاً وأخيراً، فإننا نستقبل قداستكم كحاج بسيط من أجل السلام، يأتي
بتواضع ورقة ليصلي حيث صلى السيد المسيح ﷺ، وعُمدّ وبدأ رسالته قبل ألفي
عام.

فأهلاً بكم في الأردن، قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر!

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم لسيدنا محمد ﷺ:

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(سورة الصافات، ٣٧: ١٨٠-١٨٢)